PSYCHOLOGY AND EDUCATION (2025) 62(04):773- 785
ISSN: 1553-6939

The third knower and the unity of knowledge in philosophy of Michel Serres

Tebane Mustapha[1]
[1]University Abdelhamid Mehri Constantine 2 (Algeria).
The E-mail Author: moustaphataban@gmail.com
Received: 10/08/2024 Published: 25/04/2025

Abstract:

The philosophy of Michel Serres calls for the idea of rapprochement between the exact sciences and the human sciences, by calling for the construction of a third knower, where he is conversant with exact and human knowledge, also this approximation contributes to changing the view about the human sciences and advancing them to the position of exact sciences in terms of value and status, because the inferior view of these sciences is based on judgments and perceptions, which are made or of an institutional and ideological nature.

It is also a philosophy that establishes encyclopedia or the unity of knowledge based on

communication between all its fields, refusing to establish it on the idea of specializations (cognitive branches), It is based on what Michel Serres treated: knowledge, the world, man and living creatures, and on the work of the group and not the individual, or in other words, this encyclopedia contains epistemology and human sciences, taking into account epistemology, physics, biology, politics, religion and values.

PSYCHOLOGY AND EDUCATION (2025) 62(04):
ISSN: 1553-6939

Keywords: The third knower, the unity of knowledge, the knowledge tree, encyclopedia, decentralization.

العارف الثالث ووحدة المعرفة في فلسفة ميشال سير

تبان مصطفى[1]
[1]جامعة عبد الحميد مهري -قسنطينة (الجزائر)

ملخص:

إنّ فلسفة **ميشال سير** تنادي بفكرة التّقريب بين العلوم الدّقيقة والعلوم الانسانيّة، وذلك بدعوته نحو بناء عارف ثالث (un tiers-instruit)، حيث يكون ملِمًّا بالمعارف الدّقيقة والمعارف الإنسانيّة، كما يسهم هذا التّقريب في تغيير النّظرة حول العلوم الإنسانيّة والنّهوض بها إلى مكانة العلوم الدّقيقة من حيث القيمة والمكانة، لأنّ النّظرة الدّونيّة اتّجاه هذه العلوم راجعة إلى أحكام وتصوّرات، والتي هي من صنع أو من طبيعة مؤسّساتيّة وإيديولوجيّة.

كما أنّها فلسفة تؤسّس للإنسكلوبيديا أو وحدة المعرفة المبنيّة على التّواصل بين جميع حقولها، رافضةً إقامتها على فكرة التّخصّصات (الفروع المعرفيّة)، متّكئة على ما عالجه **ميشال سير**: المعرفة، العالم، الإنسان والكائنات الحيّة، وعلى عمل الجماعة وليس الفرد. أو بتعبير آخر، هذه الإنسكلوبيديا تحوي نظريّة المعرفة وعلوم الإنسان، آخذةً في الحسبان الإبستمولوجيا، الفيزياء، علوم الأحياء، السّياسة، الدّين والقيم.

الكلمات المفتاحية: العارف الثالث، وحدة المعرفة، شجرة المعرفة، الإنسكلوبيديا، اللّامركزيّة.

1. مقدمة :

إنّ فلسفة العلم عند ميشال **سير** تخالف وترفض تماما الفلسفات التّقليديّة القائمة على فكرة المركز الواحد، وعلى رأس هؤلاء الفلسفة الوضعيّة، المجلِّية للمعرفة العلميّة لكونها الوحيدة المعرفة الحقيقيّة، وما ذهب إليه **غاستون باشلار** بتمييزه بين المعرفة العلمية والمعرفة اللّاعلمية، وذلك بتبنيها لمفهوم النّقل أي التّصدير والاستيراد بين مختلف الحقول المعرفية، ودعوتها في الجهة المقابلة إلى تعدُّديّة المراكز.

بالإضافة إلى ذلك وجود الكثير من الأصوات المنادية بالفصل بين العلوم المسمّاة بالطّبيعيّة والعلوم الإنسانيّة، كون أنّ الأولى دقيقة قابلة للدّراسة العلميّة في المخابر، من خلال اصطناع الظّواهر وبالتّالي إمكانيّة التّنبّؤ بها، في حين أنّ الثّانية بعيدة عن الدّراسة العلميّة، موضوعها ميتافيزيقي وصفي غير قابل للتّكميم، فإنّ **ميشال سير** يعارض هذا التّمييز معارضة مطلقة ويدعو إلى ضرورة التّقريب فيما بينها، من خلال مشروعه الإبستمولوجي المتمثل في العارف الثالث **(Le Tiers-Instruit)**.

1.1 الاشكالية:

ضمن هذا السياق، تندرج إشكالية هذه الورقة البحثية من خلال التساؤل التالي:

كيف يمكن الوصول إلى تأسيس إبستمولوجيا جديدة، تدعو إلى ضرورة التّأسيس لما يسمِّيه ميشال سير بالعارف الثّالث، حيث تتجاوز ثنائيّة العلم واللّاعلم وتؤسّس لوحدة المعرفة؟

2.1 الفرضيات:

كإجابات أولية لهذه الإشكالية، يمكن تقديم الفرضيات التالية:

- إلغاء فكرة تصنيف العلوم بمفهومها الكلاسيكي كما هو الأمر عند **أوجست كونت** وغيره.
- تحديد أهمية كل من العلوم الدقيقة والعلوم الإنسانية في حياة الإنسان.
- بناء مثقف موسوعي مُلم بكل الحقول المعرفية.

3.1 أهداف البحث:

- إبراز أهمية العلوم الإنسانية.
- التقريب بين المعرفة العلمية والمعرفة اللّاعلمية كالروايات والأساطير والفنون.
- الإشارة إلى العلاقة المتينة بين العلوم وبقية المعارف.
- تجاوز ثنائية عملي وأدبي.
- بناء مثقف متمكّن من اختصاصه وملم ببقية المعارف، العلمية والأدبية والإنسانية، في ما يصطلح على تسميته **ميشال سير** بالعارف الثالث.

4.1 المنهج المتبع:

اعتمدنا في معالجة الإشكاليّة على منهج التّحليل بالأساس، حيث قمنا بتحليل الأفكار الأساسيّة لكشفها وتوضيحها أكثر، بالإضافة إلى اعتمادنا على منهج المقارنة في بعض المحطّات، من أجل مقارنة أفكار **ميشال سير** بأفكار فلاسفة وإبستمولوجيّات لها صلة به **ككارل بوبر**.

2. العارف الثّالث (Le Tiers-Instruit):

يُعتبر لفظ (**tiers**) من الألفاظ الأكثر استعمالًا لدى **ميشال سير**، لكن لم يضبط له معنى إذ يحاول أن يكشف له عدّة معاني، من بينها كونه يشغل وسطًا غير معيَّن بين مَعلَمين واضحَين، فهو نقطة عدم اتِّزان أو وسط، لكن يربطه بعد ذلك بلفظ العارف ليصبح يُفيد: العارف الثّالث (Le tiers-instruit)، وهو من بين الشَّخصيّات البطلة لديه إذ إنَّه يُجسِّد إنسان الغد المتحضِّر، الذي باستطاعته القيام بتركيب بين المعرفة الأدبيّة والمعرفة العلميّة، كما أنّه يشبهه بحارس المرمى الذي يكون في وضعيّة ارتماء في كلِّ الاتِّجاهات لتوقيف ركلة الجزاء، **(Michel Serres, 2014, pp.185-186)** . يقول:" لكي تبدع ينبغي المرور بمكان ثالث، بين المعرفة واللّامعرفة، بين الوجود والفراغ. التَّعلم الثَّالث يدعو أوَّلًا لعدم التَّفريق بين الثّقافة الإنسانيّة وتعلُّم العلوم".**(Michel Serres, 2014, p.186)**. ويُضيف: " الهجين هو ثقافتي المثاليّة، الأبيض والأسود، العلوم والآداب، الوحدة والتّعدّد بدون كراهية متبادلة لأجل سِلمٍ أتمنّاه وأريد ممارسته ".**(Robert Paul, 1991)**. فالتّعلم في نظره عمليّة هجينة يحدث " باقتران الأدب والعلم، ثقافات متعدِّدة والعلم العالمي، قواعد اللُّغة والأسلوب، اكتساب المعرفة والإبداع، وبالاقتران بين العلوم الدّقيقة (الرّياضيّات والفيزياء) والعلوم الاجتماعيّة "،**(Robert Paul, 1991)**. وذلك بوصفه نقطة التقاء لأنظمة متفرِّقة، كما أنّ عمل **ميشال سير** بيداغوجي يُكمل ما بدأه **هرمس** من خلال عرض نتائج التّعلم للبحث، وبذلك تكوين أفراد للبدء في تغيير أساسي للمجتمع ضد تجاوزات العالم الحالي، من خلال التّأكيد على ضرورة مزج العلوم الدّقيقة مع الإنسانيّة، لأنّ الأولى هي المهيمِنة بفضل نتائجها المنيرة حتى أصبحت مجتمعاتنا اليوم تحصر المعرفة في العلوم الدّقيقة، ولكن هذا مشكل – في نظره - ذا طابع أخلاقي وسياسي يمكن معالجته، يقول عنه (عن العارف الثّالث):" هو كلاعب التّنس الذي يصعد نحو الشّبكة لضربِ الكرة التي ينتظرها، والتي يمكن أن تكون في أيِّ اتِّجاه. إذًا في وضعيّة عدم اتِّزان أو بمعنى أفضل متبدّل الاستقرار (métastable) ".**(Michel Serres, 2014, p.191)**. وبتشبيهٍ آخر يقول:" أمام ركلة التَّرجيح ينتظر الكرة في كلِّ مكان ويضع نفسه في وضعيّة ارتماءٍ في كلِّ الاتِّجاهات، يضع جسمه في وضعيّة ارتماء إلى الأعلى والأسفل، اليمين واليسار".**(Michel Serres, 2014, p.190)**

كما أنّ وسيلة الوصل بينهما هي الفلسفة، من خلال تخصُّص فلسفة العلوم كونها دراسة نقديّة لطبيعة العلوم من حيث الأسس والمنهاج والنّتائج، " ولقد أصبح العلم المعاصر فلسفة منذ أن ربط **لودفيج فيدجينشتاين** النّشاط الفلسفي بتحليل القول العلمي [...] كما أنّ نظريّة التّطوُّر **لتشارلز روبرت داروين** (Charles Robert Darwin) قد زعزعت الاعتقاد الدِّيني السّائد وخلقت نقاشات جمّة، بالإضافة إلى أنّ فكرة التّطوّر لديه جعلت الكون دون معنى، وهي كلّها أفكار تناقض المعتقدات أو الأفكار التي كانت سائدة آنذاك ". **(يوسف تيبس، 2014، ص 49).**

1.2 العارف الثّالث وعلاقته بالمنطق الصّوري:

يقول **ميشال سير** عن العارف الثّالث:" التّعلم هو وضع في حالة متبدّل الاستقرار**(métastable)**، الكفاءة أو المعرفة التي أبحث الحصول عليها ليست موجودة لحدِّ الآن، لكن أتوقّع الشّكل المحتمل وأنا أحاول تحقيق ذلك ". **(Michel Serres, 2014, p.191)** لأنّ الثّالث (le tiers) هو الوضعيّة الوحيدة في نظره التي تمكِّن من الإبداع، كونها لا تضبط مكانًا معيَّنًا، كما يؤكِّد على عدم وجود علاقة بين المنطق الصوري أو المبدأ الثّالث المرفوع بالضّبط والعارف الثّالث، يقول:" مبدأ الثّالث المرفوع والذي هو من بين ركائز المنطق الغربي، يؤسِّس لفكرة أنّه لا يمكن تأكيد الصِّحة والخطأ في الآن نفسه، أو أنّ الشّيء لا يمكن أن يوجد ولا يوجد. في جهة التّعلم يتوجّب التّفكير في 'المكان الثّالث' لشيء موجود وغير موجود أيضًا ". **(Michel Serres, 2014, pp.195-196)**. فما يؤسِّس لهذا النّوع من التّعلم هو مبدأ الثّالث غير المقصى أو المرفوع، حيث هو بين الاتِّزان واللّاتِّزان، بين الوجود والعدم، كما أنّه في اعتقاده هو الذي بإمكانه تجاوز الانشقاق بين الآداب والعلوم، كون أنّ العلم المعاصر أصبح يؤمن بالمنطق المتعدِّد القيم، فالقضيّة تقبل الصّواب والخطأ في الآن نفسه أي مبدأ الاحتمال.

كان يُعتقد قديمًا إلى غاية القرن 19م أنّ حدوث أيَّ ظاهرة طبيعيّة يكون وراءها سبب معيَّن وثابت، وهذا ما يسعى الاستقراء لكشفه، لكن بعد تقدُّم العلوم في القرن 20م أصبحت القوانين احتماليّة، وخير دليل على ذلك ما توصّلت إليه الفيزياء المعاصرة حول طبيعة الضّوء، فقد كان نقاش كبير بين الفيزيائيّين، بين اتّجاه يؤكِّد على الطّبيعة الموجيّة للضّوء واتّجاه ثاني يذهب إلى اعتبار الضّوء ذو طبيعة ماديّة، لكن النّتيجة التي خلُصت إليها الأبحاث أن الضّوء مادّة وموجة في نفس الوقت، كما يرى **هيغل** أن

التّناقض أو المنطق الجدلي هو القانون العام الذي يحكم الطّبيعة على عكس ما ذهب إليه **أرسطو**، إذ يؤكّد على أهمّيّة التّعارض بين الأفكار وعلى قيمة التّطوّر والحركة في فهم الأحداث، لأنّ الظّواهر المتضادّة تتَّحد وتتآلف معًا ولا تلغي بعضها البعض.

ما هو ملاحظ أيضًا أنّ التّعليم في الفترة الحديثة المتأخِّرة أُسِّس على فكرة الفصل، بمعنى أنّ الجامعات أُقيمت على أساس الانقسام ممّا أنتجت شكلين: العلميّون والأدبيّون، حيث إنّ كلًّا منهما يجهل الآخر ولا تربطهما أيّ علاقة وهو تناقض تام مع تقاليد الفلسفة، يقول:" هذا التّقسيم قد يكون مثيرًا للضّحك لكن في الواقع جدّ مدمِّر للابتكار". **(Michel Serres, 2014, p.198) فأفلاطون** بالإضافة إلى كونه فيلسوفًا كان هندسيًّا، **أرسطو** كان طبيبًا وبيولوجيًّا، **روني ديكارت** والهندسة الجبريّة، كذلك **سبينوزا** وعلاقته بالرّياضيّات، ولعلّ هذا ما قصدته المقولة الفلسفيّة: 'على كلِّ فن أن يصبح علمًا وعلى كلِّ علم أن يصبح فنًّا'، خاصةً بعد الصّراع الذي كان دائرًا بين العلم والأدب، بالإضافة إلى ذلك، فإنّ العلم يُشبع مادّيّة الإنسان والأدب يُشبع الرّوح، وإشباع أحدهما على حساب الآخر يُحدث اضطرابًا، يقول **ميشال سير**:" كانت لدي فكرة القيام ببيان رسمي (manifeste) لأجل ثقافة لا تتوجَّب حرب ثقافات، ولكن هذا هو نوع من المصالحة، العارف الثّالث هو في الواقع شخصيّة إصلاحيّة بين ثقّافة أدبيّة وثقّافة علميّة **(Michel Serres, 2014, p.199)**."

كذلك في هذا الصَّدد يضرب مثالًا عن الخلايا الجذعيّة، والتي هي في حقيقة الأمر خليّة غير متمايزة تستطيع أن تؤدِّي إلى خلايا متباينة: خلايا عصبيّة، خلايا عضليّة، خلايا الكبد أو الأمعاء ...إلخ، فمثال الجذع هنا يحمل دلالة القوّة الكامنة والوحدة،**(Michel Serres, 2014, pp.199-200)**. كما أنّه يسمِّي هذا العارف الثّالث بالحكيم، " يمزج سويًّا تراثنا المصري والرّوماني منبع قوانيننا مع تراثنا اليوناني مقدِّم المعرفة"، **(Michel Serres, 1995, p.94)** . فهو خبير في المعرفة، ضليعٌ في العلوم الطّبيعيّة الجامدة والحيّة، كما له اهتمام بالعلوم الإنسانيّة واللّغات القديمة وكذلك التّقاليد الأسطوريّة والأديان، " فالعبقري هو الذي يمشي على حبلٍ مشدود بين وضعيّة العلوم ولا عقلانيّة الأسطورة والخرافات والرّوايات الأدبيّة [...] يرفض أن تكون لديه نقطة سقوط ثابتة بل نقطة انتشار"، **(Marc Porée, 2000)**. بمعنى أنّه يؤمن بفكرة الإنسكلوبيديا الجامعة لكل المعارف.

يرى **ميشال سير** أنّه " وكما علَّمنا **كبلر**، نعتقد بوجود مركز للعالم تنير منه شمس المعرفة والعقل، في حين أنّ الظّلام ينتشر في الفضاءات الثّانية، لكن اليوم تغيّرت الأمور بزوال فكرة المركز الواحد واستبدالها بفكرة المراكز، حيث ليس هنالك شمس معرفة واحدة، بل الآلاف من الشّموس تنير تلك الفضاءات المظلمة "، **(Michel Serres, 1991, p.82)**.ولن يكون هنالك تعلُّمًا حقيقيًّا إلّا في ظلِّ الأخذ من جميع هذه المصادر دون استثناء.

ما هو ملاحظ حول فلسفة العارف الثّالث وكأنّها تثور على مبادئ المنطق الصّوري، التي سلَّمنا بصدقها منذ القديم خاصة مبدأ الثّالث المرفوع، وذلك بتركيزها على فكرة الثّالث الموضوع، يقول **ميشال سير**:" هذا مُمرّر المعلومة هو أيضًا وسيلة سِلمٍ، يُقصي سيطرة علمٍ واحدٍ الذي يُلقَّب بالعلم الملكي، كما أنّه يُقحم مجالات والتي أُعتقد أنّها أجنبيّة بعيدة عن المعرفة ". **(Robert Paul, 1991)**.

3. فكرة وحدة المعرفة:

1.3 شجرة المعرفة عند ميشال سير:

إذا كانت شجرة المعرفة عند **روني ديكارت** هي تلك الفلسفة التي جذورها الميتافيزيقا وجذعها العلم الطّبيعي وأغصانها الكبرى الطّب والميكانيك والأخلاق، وعند **كارل بوبر** مبنيّة على الفلسفة الدّاروينيّة التّطوّريّة، حيث إنّه إذا كانت هذه الأخيرة (الفلسفة الدّاروينيّة) تتلخّص في فكرة أساسيّة مفادها أنّ كل الكائنات الحيّة لها أصل واحد، وهو الكائنات الحيّة البدائيّة ثم تطوّرت شيئًا فشيئًا فيما بعد بفعل الانتخاب الطّبيعي، لتتفرّع منها أنواع عديدة والتي من بينها الإنسان، فكذلك المعرفة العلميّة في نظره تنمو وتتطوّر عبر تاريخها من خلال فكرتي الإبطال والتّقدّم، يقول:" ننظر الآن بطريقة أكثر قربًا لمنهج التّخمين والدّحض هذا، والذي حسب أطروحتي هو المنهج الذي له الفضل في تطوّر معرفتنا [...] نستطيع القول إذًا أنّ تطوّر المعرفة يتأسّس على الانتقال من المشكلات القديمة إلى المشكلات الحديثة عن طريق التّخمين والدّحض [...] نستطيع التّعبير عن كلّ هذا بالقول أنّ معرفتنا ما هي إلّا نتيجة لعمليّة تشبه عن كثب ما أسماه داروين 'الانتخاب الطّبيعي' ". **(Karl Popper, 1998, pp.390-392).** إلّا أنّ المعرفة الخالصة تنمو بطريقة مخالفة إنّها " تنمو في اتّجاه مضاد، فبدلًا من التّفرّع والتّعدّد تتّجه نحو التّكامل، نحو نظريّات متوحّدة (Unified Théories) ويتيسّر لها التّكامل والتّوحّد كلما زاد محتوى النّظريّات وزادت قوّتها التّفسيريّة فتزداد سعتها

وتشمل نظريّات أخرى، والمثال الواضح على ذلك نظريّة **نيوتن** عندما جمعت بين ميكانيكا **غاليليو** الأرضيّة ونظريّة **كبلر** في الحركات السّماويّة "، **(محمد محمد قاسم، 1986، ص ص 334-335)**. لكن عند " قراءة مضمون الفصل الثّاني **(لكتاب ميشال أوتيي وبيار ليفي)** وخاصّة من أشجار المعرفة هذه -حيث إنّهما ألّفا في الواقع سنة 1992م كتابًا من مئة وسبعين صفحةً يدعى 'أشجار المعرفة' تحت إشراف **ميشال سير**- يدرك أن المؤلِّفَيْن يطرحان من جديد وبعبارات بسيطة وذات صلة السّؤال الأساسي عن العلاقة بين الموضوع الإبستمولوجي والمعرفة، من المؤكّد أنّهما على حقّ في التّذكير أنّه بفضل التّقدّم المذهل في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتّصال العلمي غيّرت الحداثة علاقتها بالمعرفة، وأصبحت المعرفة أكثر غموضًا وأقلّ تحديدًا، وتضاعفت مصادر إنتاج وإعادة إنتاج المعرفة ونشرها "، **(Marcel Nguimbi et Clarisse Okandzi Mouandeke, 2017, pp.14-15)** وهذا ما نجده عند **سير** حيث إنّه لم يحصر المعرفة في المعرفة العلميّة فقط، بل هي متعدّدة ومتنوّعة ومتكاملة، يقول في صورة مجازيّة القصد منها جمع المعارف في إنسكلوبيديا لا تعترف بفكرة المركزيّة بل بتعدّد المراكز:" المقارنة بين الهند وروما كما قلت هي شبه اندمجت في الفلسفة الوضعيّة **لجورج دوميزيل** ولجميعنا بلا شك، الهند هي اللّاهوتيّة والميتافيزيقيّة وروما هي الوضعيّة ". **(Michel Serres, 1982, p. 154).**

" يمكن أن يكون التّأثير الرّئيس لهذا التّنوّع في مساحات إنتاج المعرفة وفقا **لميشال قروسيتي** (Michel Grossetti) و**دينيس إكرت** (Denis Eckert) و**لورنت جيقو** (Laurent Jégou) و**ماريو ميسونوب** (Marion Maisonobe) و**يفاس جينقراس** (Yves Gingras) و**فينسو لاريفيار** (Vincent Lariviére) عبارة عن مجموعة من التّفاعلات الدّائمة والمتبادلة بين المواضيع الإبستيميّة التي تكون بوعي أو لا معرفة أصيلة في تطوّر مستمر ومجتمعاتها العلميّة المعنيّة"، **(Marcel Nguimbi et Clarisse Okandzi Mouandeke, 2017, p. 15)** أي أنّ الرّصيد المعرفي أو المعلوماتي للإنسانيّة لا يعود الفضل فيه إلى فرد واحد بل للجماعة، وذلك باعتبار المعرفة تراكمات لإنتاجات بشريّة عبر تاريخها وهو ظاهرة اجتماعيّة، كما أنّ ذهن الفرد ليس بمقدوره الاهتمام بكل مجالات البحث، بل هنالك تخصّصات وأصحاب التّخصّصات، وشجرة المعرفة لن تكون إلّا بالجمع بينها ومنه بين الجماعة العلميّة.

و" الذي يعطي معنًى كاملًا لصورة معطف المهرّج 'manteau d'Arlequin' الذي يمثّل بالنّسبة **لميشال سير** جزءًا من معرفة جماعيّة لا مثيل لها، والذي يجب أن يجعل المرء يفكّر في علم الجهل 'docte ignorance' الذي يطرحه **بوبر** في تخميناته ودحاضه'ses conjectures et réfutations' ، من شأنه التّعبير عنهما أفضل في التّساؤل التّالي: هل نعرف ما نعرفه؟ خاصة بما أن **ميشال أوتيي وبيار ليفي** يعتبران أنّ لا أحد لديه نفس القصّة مع الآخر، لا أحد يعرف الشّيء نفسه مع الآخر، سيكون هنالك تفرّد "، **(Marcel, Nguimbi et Clarisse Okandzi, Mouandeke, 2017, p. 15)** ويقول **سير**:" العلماء في الغالب يفكّرون مثل **ديكارت**: 'لم يفكّر أحد قبلي' إنّ هذا التّأثير الدّيكارتي ينتج دعاية فعّالة للغاية ومقنعة وهي: 'لم يعتقد أحد بمثل هذا وكذا حتى قلت أنا ذلك' هذا التّباهي يتناقض مع الفلسفة الخالدة وهو سخيف تمامًا ". **(Michel Serres with Bruno Latour,1995, p.49)**.

إنّه (**سير**) يعرض هذا النّوع من التّفكير للتّحذير منه، كونه يحدث قطيعة مع الماضي ويجعله بعيدًا جدًّا، ويُنصِّب كلّ مرحلة ناجحة كثورة على سابقتها أو أي نظريّة حاليّة كثورة على سابقتها، أمّا طبيعة المعرفة العلميّة عند **بوبر** فهي معرفة تخمينيّة وفقًا لوضعيّات زمكانيّة معيّنة، وهدف العلم التّجريبي في نظره هو البحث عن الصّدق وليس الحقيقة المطلقة، وبذلك يُعدّ من أنصار الشّكّ الرّافض لمسألة اليقين المطلق والسّاعي نحو تطوير المعرفة، يقول:" من المفرح أنّه ليس لدي أيّة نيّة لإقناع أي شخص بحقيقة تخميني الدّاروينى الجديد، الذي سأقدّمه في نهاية مؤتمري، لأنّه على الرغم من أملي في أنّ هذا التّخمين قد يساعدنا في الاقتراب أكثر من الحقيقة إلّا أنّني لا أجرؤ على القول أنّه يحتوي ولو على القليل من الحقيقة، لا يحتوي في كلّ الأحوال لا على الحقيقة النّهائيّة ولا على الحقيقة الكاملة في هذا الشّأن. لا آمل في إقناعكم ببساطة لأنّني نفسي لست مقتنعا، آمل وسأبذل قصارى جهدي لإيقاظ اهتمامكم بهذه المشاكل ". **(Karl Popper,1998, p.386)**.

يرفض **ميشال سير** جملة وتفصيلا منطق الإقصاء، حيث إنّه لا يقصي أيّ فئةٍ أو فردٍ من المعرفة، لكون المعرفة جماعيّة وليست حكرًا على فرد معيّن أو فئة، على عكس ما هو عليه الحال لدى بعض الاتّجاهات، حيث أنّها تؤدلج المعرفة أو تلوّنها بلون خاص، قاصدًا بذلك الاتّجاه الوضعي، يقول:" من ناحيةٍ هناك اختفاء تدريجي عظيم

لأعظم المؤلّفين الذين تشير ثقافتهم القديمة إلى عصر الشّعر القديم الذي لا يحتاجه أحد، ومن ناحية أخرى اعتبار العلماء المعاصرين الوحيدين الذين يتكلّمون عن الحقيقة حول العالم أو الدّماغ، عن الرّياضيّات أو الفيزياء. نظرًا لأنّك تعرف الولايات المتّحدة جيّدا فأنت تعرف بكل سرور أنّها تضفي أوربا على بومبي (Pompeii) أو عصر الكاتدرائيّات العظيمة، إنّها طريقة ممتازة للقول: اليوم نحن نتقدّم بينما أنت المسؤول عن المتاحف، التّاريخ يضفي انطباعًا معيَّنًا عن الواقع لتعزيز الذّات ". **(Michel Serres with Bruno Latour,1995, p.51).**

كما قام **ميشال سير** ببناء خوارزميّة من أشجار المعرفة، جعلها تنطلق من ثلاث مسلّمات وهي كالتّالي:

" المسلّمة 1: **'الكلّ يعرف'**: كلّ إنسان يعرف شيئًا وذلك لأنّه عاش، والمعرفة هي بعد الكائن وغير منفصلة على التّجربة الحسيّة وبالتّالي مفردة لكل فرد. هذه الحقيقة الأولى التي تعيد لكل أحد كرامته في وجه المعرفة.

المسلّمة 2: **'نحن لا نعرف أبدًا'**: إنّه يعترف باستحالة المعرفة المطلقة والكاملة، علاوة على ذلك المعرفة ليست مستقرّة وهي قابلة للتّغيّر. إنّه يدعو إلى التّواضع واحترام معارف الآخرين[...]

المسلّمة03: **'أنا لا أعرف لكن الآخر يعرف'**: كل المعرفة هي في الإنسانيّة، وكلّ واحد جالبٌ للمعرفة مساحة لا مثيل لها، كما أنّ الإنسانيّة جمعاء تستطيع حمل المعرفة بكل تنوّعها ". **(Marcel Nguimbi et Clarisse Okandzi Mouandeke, 2017, p. 16).**

وعليه فالغاية من المشروع الإبستمولوجي عند **ميشال سير**، هي تشييد إنسكلوبيديا لا تؤمن بفكرة المركزيّة ولا الانقسام، وإنّما بالوحدة المعرفيّة والجماعة العارفة، يقول:" وهكذا فإنّ هذا التّقسيم مُردَّد في الصّورة، في الصّورة التّخيّليّة التي يصنعها المرء عن الزمن، بدلًا من الإدانة أو الاستبعاد يسلّم المرء شيئًا ما إلى العصور القديمة، لم يعد أحد يقول 'خطأ' ولكن قديم أو عفا عليه الزّمن، في العصور السّابقة حلم الناس والآن نحن نفكّر، قديمًا الناس غنّت شعرًا واليوم نحن نجرّب بكفاءة. إنّ التّاريخ هو هذا الإقصاء الحقيقي للغاية في زمن وهمّي وحتّى إمبريالي. القطيعة الزّمنيّة تعادل الإقصاء العقائدي ". **(Michel Serres with Bruno Latour,1995, p.50)**

1.3 العلاقة بين أشجار المعرفة عند ميشال سير وشجرة المعرفة عند كارل بوبر:

إنّ نقاط التّقارب بين خوارزميّة **ميشال سير** وشجرة المعرفة عند **بوبر** - الفيلسوف التّجريبي العقلاني في نمط نقديّ - فنلمسها في قول هذا الأخير:" كلما عرفنا العالم أكثر، وكلّما أصبحت هذه المعرفة أكثر عمقا كلما زادت معرفة ما لا نعرفه [...] حقيقة إنّ معرفتنا لا يمكن لها إلّا أن تكون نهائيّة بما أنّ جهلنا لا نهائي بالضّرورة [...].

يمكننا تكوين فكرة عن ضخامة جهلنا عندما نفكّر في اتّساع السّماوات: إذا كانت حقيقة أبعاد الكون ليست هي السّبب الأكثر عمقًا لجهل الإنسان، فإنّها مع ذلك واحدة من أكثر الأسباب (...) ". **(Nguimbi et Clarisse Okandzi Mouandeke, 2017, p. 17)** بمعنى أنّ المعرفة المطلقة عند الانسان ضرب من الخيال ليس بإمكان العقل إدراكها، بدليل أنّ هنالك الكثير من الأمور نجهلها، والمعارف متغيّرة ومتطوّرة وذلك لأنّها قائمة على التّخمين وحقيقتها متمثّلة في مدى قدرتها على تجاوز النّقد، بالإضافة إلى كلّ ذلك فإنّ معارفنا متناهيّة؛ حيث أنّ كل واحد منّا له كفاءة محدَّدة في مجال أو مجالات معيّنة، وقد تتفاوت درجة المعرفة من شخص لآخر، لكن لا يحدث النّفع في واقعنا إلّا بتكملة بعضنا البعض أي بتبادل المعارف. ومع كلّ هذا هنالك ما يجمعنا وهو الجهل المشترك تُجاه بعض الأشياء والقضايا، يقول **كارل بوبر**:" حتّى لو تعلّمنا فقط معرفة مدى معرفتنا الصّغيرة، أعتقد أنّه من الممتع محاولة اكتساب المعرفة حول العالم. يمكن لهذه الحالة من الجهل المستفاد أن يخفّف العديد من الصّعوبات، لذلك سيكون من المفيد ألّا ننسى أنّه إذا كانت طرود المعرفة المختلفة التي نمتلكها تجعلنا مختلفين بما فيه الكفاية، فإنّنا في جهلنا اللّامتناهي جميعا متساوون ". **(Nguimbi et Clarisse Okandzi Mouandeke, 2017, p. 17)** ويقول في موضع آخر:" حينما تحدّثنا عن الشّجرة التّطوّريّة، افترضنا بالطّبع أنّ محور الزّمن اتَّجه نحو الأعلى، في اتّجاه تطوّر الشّجرة، نفترض دائما توجّه الزّمن نفسه نحو الأعلى، ويتوجّب علينا تقديم شجرة المعرفة وكأنّها ارتفعت انطلاقًا من عدد لا مُتناهٍ من الجذور، والتي ستتطوّر في اتّجاهٍ نحو الفضاء عوض أن تغوص في الأرض، والتي في الأخير في قمّتها مجتمع في جذع مشترك واحد". **(Karl Popper,1998,pp.393-394).**

ومنه نخلص إلى نتيجة مفادها أنّ الشيء الذي يشترك فيه **بوبر** مع **سير** هو دعوتهما نحو المعرفة الجماعيّة، كون أنّنا نعيش في عالم واحد ومصيرنا واحد.

4. خاتمة:

إنّ النُّقطة المركزيّة في فلسفة **ميشال سير** هي فكرة اتّصاليّة المعرفة العلميّة، التي يتمّ بموجبها تجاوز واختراق كلّ تصنيف؛ لأنّ الشّيء الأهم في نظره ليس الفصل بين العلوم بل رسم نقطة التقاء وتقاطع بين هذه الحقول العلميّة تحت سماء معرفيّة واحدة، ولا تتحقّق هذه المبادرة إلّا بدعوة نحو فلسفة للاتّصال لِما لها من أثر على الواقع البشري في الفترة المعاصرة، وذلك من خلال مشروعه المتمثّل في **العارف الثالث**، والذي يجمع بين كلّ المعارف (العلوم الإنسانيّة والعلوم الدّقيقة وغيرهما من المعارف)، على اعتبار أنّ الأولى لا تقل أهمّيّة عن الثّانية، فإذا كانت هذه الأخيرة تخدم الإنسان من النّاحية الماديّة، فإنّ الأولى تهتم بدراسته من النّاحية المعنويّة.

5. قائمة المراجع:

1- محمد، محمد قاسم، (1986)، كارل بوبر (نظريّة المعرفة في ضوء المنهج العلمي)، دار المعرفة الجامعيّة، الاسكندريّة.

2-يوسف، تيبس، (2014)، الثّقافة العلميّة والقيم الإنسانيّة: مفارقات النّسق العلمي-التّقني، مجلّة رؤى تربويّة، العدد 25، مركز القطان للبّحث والتّطوير التّربوي، رام الله - فلسطين.

1-Michel, Serres, (1982), Genèse, éditions Grasset et Fasquelle, Paris.

2- Michel, Serres, (1991),Le Tiers-Instruit, édition François Bourin, Paris.

3- Michel, Serres, (1995), the natural contract, translated by Elizabeth Macarthur and William Paulson, University of Michigan press, United States of America.

4- Michel, Serres, (2014), pantopie: de hermès à petite poucette, édition le pommier, Paris.

5- Michel, Serres with Bruno, Latour, (1995), Conversation on science, culture, and time, translated by Roxanne Lapidus, University of Michigan press, United States of America.

6- Karl, Popper, (1998), la connaissance objective, traduit de l’anglais et préfacé par Jean-Jacques Rosat, Flammarion, Paris.

7- Marcel, Nguimbi et Clarisse, Okandzi Mouandeke, (2017), L'arbre de la connaissance (Popper versus Descartes), L'harmattan, Paris.
8- Marc, Porée, (2000), La ' méthode Serres', sillages critique, Paris, 1/2000.
9- Robert, Paul, Le tiers instruit de Michel Serres (1991), Art et lettre (le réseau des arts et des lettres en Belgique et dans la diaspora francophone), 21.09.2010 à 16:30. **Article disponible sur le site**: https://artsrtlettres.ning.com/profiles/blogs/le-tiers-instruit-de-michel (21.06.2019/ 17: 28).